أنا الغريق فما خوفي من البلل

يمدحه لما رضي عنه:

[البسيط]

أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلَلِ
دَعَا فَلَبَّاهُ قَبْلَ الرَّكْبِ وَالإِبِلِ (١)
ظَلِلْتُ بَيْنَ أُصَيْحَابِي أُكَفْكِفُهُ
وَظَلَّ يَسْفَحُ بَيْنَ العُذْرِ وَالْعَذَلِ (٢)
أَشْكُو النَّوَى وَلَهُمْ مِنْ عَبْرَتِي عَجَبٌ
كَذَاكَ كُنْتُ وَمَا أَشْكُو سِوَى الْكَلَلِ (٣)
وَمَا صَبَابَةُ مُشْتَاقٍ عَلَى أَمَلٍ
مِنَ اللِّقَاءِ كَمُشْتَاقٍ بِلَا أَمَلِ (٤)

---

(١) و (٢) يبدأ الشاعر قصيدته المدحية بمطلع غزلي. الطلل: بقايا آثار الديار وقد رحل عنها ساكنوها. الركب: الظاعنون والراحلون. الطلل رباط وجدانيّ بين الأرض والبشر، إنها الحياة بقساوتها في عالم الصحراء، حيث القحط والجفاف، فيضطر القاطنون إلى ترك الديار والأحباب، وتمرّ الأيام فإذا بالشاعر يمرّ بما تبقّى من آثار تلك الديار حيث كانت حبيبته تملأ حياته فإذا بمعالم المكان قد تغيّرت ملامحها وتبدلت صورتها عمَّا ألفه في ما مضى، فإذا بالدموع تتسابق فتنحدر على خديه، وقد سبق رفاق الدرب، حتى الإبل قد حنّت لذكريات مضت في ذلك المكان. إنها استجابة التقت فيها الأحاسيس بالمكان، فالدموع يحاول منعها يكفكفها، ورغماً عنه تتابع رحلتها على خديه، وأصحابه ينظرون إليه والدهشة قد علت وجوههم، فمنهم عاذر وقد عرف السبب، ومنهم لائم رغم معرفة، إنه الماضي ولن يعود وعلى المرء النسيان والقبول بالأمر الواقع، ولا يزال الدمع ينسدل دون توقّف.

(٣) النوى: البعد والهجر. العَبرة، بفتح العين: الدمعة. الكلل، الواحدة، كَلّة: ضرب من الستور الرقيقة. يردّ الشاعر على اللائمين أن بكاءه لم يكن وليد الظرف الحالي، والبعد قد فرّق بينه وبين حبيبته، ولكن الأمر وثيق الصلة بالماضي يوم كان يجاور حبيبته، يومها لم يكن يفصل بينهما سوى ستور رقيقة يختفي خلفها شبه خيال، ولكنه ينبئ عن شخصه، إنه من يُواصل بكاءه الآن، ولطالما بكى هجرها وقطيعتها.

(٤) الصبابة: رقة الحبّ وشعوره. يُعلّل الشاعر سبب الحالة التي هو عليها، فالمحبّ =

مَـتَـى تَـزُرْ قَـوْمَ مَـنْ تَـهْـوَى زِيَـارَتَـهَـا
لَا يُـتْـحِـفُـوكَ بِـغَـيْـرِ الْـبِـيـضِ وَالْأَسَـلِ (١)
وَالْـهَـجْـرُ أَقْـتَـلُ لِـي مِـمَّـا أُرَاقِـبُـهُ
أَنَـا الـغَـرِيـقُ فَـمَـا خَـوْفِـي مِـنَ الْـبَـلَـلِ (٢)
مَـا بَـالُ كُـلِّ فُـؤَادٍ فِـي عَـشِـيـرَتِـهَـا
بِـهِ الَّـذِي بِـي وَمَـا بِـي غَـيْـرُ مُـنْـتَـقِـلِ (٣)
مُـطَـاعَـةُ الـلَّـحْـظِ فِـي الْأَلْـحَـاظِ مَـالِـكَـةٌ
لِـمُـقْـلَـتَـيْـهَـا عَـظِـيـمُ الْـمُـلْـكِ فِـي الْـمُـقَـلِ (٤)
تَـشَـبَّـهُ الْـخَـفِـرَاتُ الآنِـسَـاتُ بِـهَـا
فِـي مَـشْـيِـهَـا فَـيَـنَـلْـنَ الْـحُـسْـنَ بِـالْـحِـيَـلِ (٥)

= الذي يأمل لقاء حبيبته يستروح اللقاء ويأمله في كلّ وقت، مطمئن إليه، وعلى يقين من حدوثه، أمّا من هجرته حبيبته إلى مكان ما في أرض اللّه الواسعة، فأمله ضعيف جدًّا، وقد يكون معدوماً.

(١) و (٢) الإتحاف: الإطراف بالهدايا. البيض: السيوف. الأسل، الواحدة أسلة: الرماح. يذكر الشاعر السبب من عدم قدرته على الاجتماع بحبيبته أن وراءها قوماً يحملون الشرّ بأيديهم، سيوفاً ورماحاً أسوأ ما يمكن أن يتحف امرؤ عدوًّا، وذلك سبب وجيه ليخاف الشاعر على نفسه من التلف، وأولى له أن يبكي علّه يسرّي عن نفسه في حالة كهذه؛ إنه بين أمرين أهونهما عسير خطير، فما يتوقّعه من أهلها كأسه علقم، إنه الموت المحقّق، وما يُلاقيه من هجرها أقتل له من سلاحهم، فموته بالهجر جعله لا يُبالي بسلاح أقربائها، فالأمر سيان، فكان أن توصّل إلى نتيجة مفادها أن من عرق في الماء لا يخشى البلل.

(٣) يستفهم الشاعر متعجباً أن قلبه لا يزال متعلقاً بها، إنه يُعاني من حبّ عظيم وميل نحوها، والمشكلة الكبرى أن معظم شباب قومها يُعانون من حبهم لها، وهذا يعني أن جميعهم خصوم وأعداء للشاعر، وعليه فلا يُستغرب موقف عشيرتها من الشاعر.

(٤) يصف الشاعر شدّة تأثير حبيبته، إنها آسرة بحيث تحمل من نظرت إليه على الإذعان لها، فنظرها جذبه نحوها بقوّة السحر لديها، إنها ملكة عظيمة التأثير في النفوس، فالكلّ يتمنى نظرة ملؤها الحبّ، بحيث إنها تستعبد ضحايا كيفما يحلو لها.

(٥) الخفرات: الحييات. الآنسات، الواحدة آنسة: ذات اللطف من النسوة والرقيقة =

قَـــدْ ذُقْـــتُ شِـــدَّةَ أَيَّـــامِـــي وَلَـــذَّتَـــهَـــا
فَـمَـا حَـصَـلْـتُ عَـلَـى صَـابٍ وَلَا عَـسَـلِ[١]
وَقَـدْ أَرَانِـي الـشَّـبَـابُ الـرُّوحَ فِـي بَـدَنـي
وَقَـدْ أَرَانـي الْـمَـشِـيـبُ الـرُّوحَ فِـي بَـدَلـي[٢]
وَقَـدْ طَـرَقْـتُ فَـتَـاةَ الْـحَـيِّ مُـرْتَـدِيـاً
بِـصَـاحِـبٍ غَـيْـرِ عِـزْهَـاةٍ وَلَا غَـزِلِ[٣]
فَـبَـاتَ بَـيْـنَ تَـرَاقِـيـنَـا نُـدَفِّـعُـهُ
وَلَـيْـسَ يَـعْـلَـمُ بِـالـشَّـكْـوَى وَلَا الْـقُـبَـلِ[٤]

= منهن. من طبيعة البشر جميعاً، سواء أكانوا ذكوراً أم إناثاً أن يتشبهوا بمن يعتبرونه المثال الأعلى، وهذا ما حمل الآنسات الجميلات الرقيقات من النسوة على تقليد حبيبته في كلّ ما يميّزها عنهن في المشي والدلال والغنج واللباس والحديث، علّ الواحدة منهن أن تستميل من يُعجبها فيُبادلها حبًّا بحبّ، مستعملة كلّ الحيل في مسعاها.

(١) الصاب: ضرب من شجر مرّ. يعطي الشاعر رأيه في الحياة لقد مرّت سريعة لقد عاش يتذوّق طعم الحياة بشكليها وطعميها الحلو والمرّ فلم يستطعم بهما، ولم يحصّل منهما شيئاً لسرعة ما مرّ به، والحياة قصيرة مهما طال بالمرء العمر.

(٢) البدل، يقصد به الولد. يعطي الشاعر رأيه بطوري حياته، في البدء، كان الشباب يملأه حيوية وقوّة يعتمد على نفسه في كلّ ما يودّ القيام به، وقد توالت الأيام، إنه قد اشتعل رأسه شيباً، وفقد من حيويته الشيء، ومع مرور الزمان فقد احتاج إلى من يقوم له بأعمال كثيرة، وقد حلّ محله من هو أقدر على ذلك منه، والأبناء هم أفضل البدائل القادرون على ذلك.

(٣) و (٤) قصد الشاعر بالصاحب سيفه. العزهاة: العازف عن النساء. الغزل: من يأنس بالحديث مع النسوة. التراقي، الواحدة ترقوة: العظام العالية من الصدر. يصف الشاعر لقاءه بمن أحبّ، فقد أقبل للقائها في الليل، وهو يتّشح بسيفه الذي لا يعي من أمور علاقات الرجال بالنساء وليس له رغبة بالنساء عامة، وكان اللقاء، ولكن كان السيف حائلاً بين الشاعر وحبيبته، وهو عديم الإحساس بما كان يدور بين الحبيبين فكانت شكوى ممّا يُلاقيه كلّ منهما وعِتاب وقُبل، ولم ينس الشاعر خوفه وحذره، فقد بقي السيف حائلاً بينهما، وهو على استعداد لكلّ طارئ أو حادث مفاجئ.

ثُـمَّ ٱغْـتَـدَى وَبِـهِ مِـنْ رَدْعِـهَـا أَثَـرٌ
عَـلَـى ذُؤابَـتِـهِ وَٱلْـجَـفْـنِ وَالْـخِـلَـلِ (١)
لَا أَكْـسِـبُ الـذِّكْـرَ إِلَّا مِـنْ مَـضَـارِبِـهِ
أَوْ مِـنْ سِـنَـانٍ أَصَـمِّ الْـكَـعْـبِ مُـعْـتَـدِلِ (٢)
جَـادَ الْأَمِـيـرُ بِـهِ لِـي فِـي مَـوَاهِـبِـهِ
فَـزَانَـهَـا وَكَـسَـانِـي الـدِّرْعَ فِـي الْـحُـلَـلِ (٣)
وَمِـنْ عَـلِـيِّ بْـنِ عَـبْـدِ الـلَّـهِ مَـعْـرِفَـتِـي
بِـحَـمْـلِـهِ مَـنْ كَـعَـبْـدِ الـلَّـهِ أَوْ كَـعَـلِـي (٤)
مُـعْـطِـي الْـكَـوَاعِـبِ وَالْـجُـرْدِ الـسَّـلَاهِـبِ وَالْـ
ـبِـيـضِ الْـقَـوَاضِـبِ وَالـعَـسَّـالَـةِ الـذُّبُـلِ (٥)

(١) الردع: التضمّخ بالطيب. ذؤابة السيف: حمائله. الجفن: الغمد. الخلل، الواحدة خِلّة، بكسر الخاء: ما يُغطي به الغمد من الجلد المحلّى بالذهب. يروى «درعها» بدلاً من «ردعها»، والدرع: الثوب. لقد كان عناقهما عناقاً لصيقاً بحيث أمكن السيف أن يحصل على نصيبه من اللقاء بأن علِق عليه من طيب حبيبة الشاعر الشيء الكثير فشمل ذؤابته وجفنه وخلاله.

(٢) المضارب، الواحد مضرب: حدّ السيف. السنان: نصل الرمح. الأصمّ: الصلب. الكعب: العقدة بين أنبوبين. يرى الشاعر أن الصيت الحسن لا يُحصّله المرء إلّا بالقدرة على استعمال السلاح، وفنون القتال تتمحور بالمسايفة والمطاعنة بالرماح، وعلى أساسها تُقاس فروسيّة البطل وشجاعته وقوّته.

(٣) جاد: تكرّم. المواهب: العطايا. كسا: ألبس. يُنوّه الشاعر بكرم سيف الدولة، فقد منحه زينة الرجال، سيفاً مدعاة فخر حامله، إنه أفضل ما يُهدى، وقد ألبسه درعاً يحمي به جسده من طعن أعدائه في المعارك.

(٤) يُقرّ الشاعر بحقيقة تعلّمه فنون القتال، فقد ساعده الأمير على إتقان استعمال السيف في القتال، فكان السيف زينته التي يعتزّ بها، ويُتابع الشاعر مفضلاً الأمير ووالده على سائر الناس، فلا يُشبههما أحد من الناس.

(٥) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ١: ٢٤٨. الكواعب، الواحدة كاعب: الفتاة التي نهد ثدياها. الجرد: الخيل القصار الشعر. السلاهب: الخيول الطويلة. البيض: السيوف. العسالة الذبل: الرماح الطويلة اللدنة، يمدح الشاعر سيف الدولة، إنه كريم =

ضَـاقَ الـزَّمَـانُ وَوَجْـهُ الْأَرْضِ عَـنْ مَـلِـكٍ
مِـلْءِ الـزَّمَـانِ وَمِـلْءِ الـسَّـهْـلِ وَالْـجَـبَـلِ (١)
فَـنَـحْـنُ فِـي جَـذَلٍ وَالـرُّومُ فِـي وَجَـلٍ
وَالْـبَـرُّ فـي شُـغُـلٍ وَالْـبَـحْـرُ فِـي خَـجَـلِ (٢)
مِـنْ تَـغْـلِـبَ الْـغَـالِـبِـيـنَ الـنَّـاسَ مَـنْـصِـبُـهُ
وَمِـنْ عَـدِيٍّ أَعَـادِي الْـجُـبْـنِ وَالْـبَـخَـلِ (٣)
وَالْـمَـدْحُ لابْـنِ أَبِـي الـهَـيْـجَـاءِ تُـنْـجِـدُهُ
بِـالْـجَـاهِـلِـيَّـةِ عَـيْـنُ الْـعِـيِّ وَالْـخَـطَـلِ (٤)

= بحيث يجود بالناهدات من الجواري والخيول العتيقة الطويلة القصار الشعور والسيوف والرماح الطويلة اللدنة.

(١) يمدح الشاعر سيف الدولة بعظمته وبعد همّته، حتى ضاق به الزمان لأنه لا يستطيع تنفيذ رغباته وتحقيق كلّ آماله وتلبية تطلّعاته، إنه ملك يستوعب الزمان بما يحمله من طموح أن يمهره بطابعه البطولي في عالم الأمجاد، حتى المكان ضاق أيضاً بفتوحاته، فمعاركه تتوالى في كل مكان، في السفح والجبل، فجيوشه ضاقت الأرض بها وبانتصاراته.

(٢) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ١: ٢٤٨. الجذل: السرور والفرح. الوجل: الخوف والرعب. قسم الشاعر الوجود السياسي والديني قسمين؛ فالمسلمون شريحو الصدور، تملأ قلوبهم الفرحة بانتصارات الأمير، وفي المقابل الروم يملأ قلوبهم رعب لا ينقطع مدده، فباستمرار يُوالي الأمير غزواته على بلادهم فيمعن فيهم تقتيلاً، وفي بلادهم تخريباً فجيشه قد اكتسح البرّ فضاق عنه السهل والجبل، والبحر في حسرة وغيرة لكرمه وفيض جوده الذي يشمل كل مواطنيه ومحبيه.

(٣) تغلب: قبيلة سيف الدولة. منصب: أصل. عديّ: عشيرة الأمير. يمدح الشاعر الأصول التي ينتمي إليها الشاعر، إنه تغلبي، ولتغلب تاريخ حافل بالأمجاد في العهد الجاهلي وفي الإسلام، وهو من عشيرة بني عديّ فيهم البطولة والشجاعة، إنهم أعداء الجبن والتخاذل والبخل، فالكرم متأصل فيهم طبعاً وتطبّعاً.

(٤) أبو الهيجاء: كنية والد سيف الدولة. تُنجده: تُمدّه وتُعينه. العيّ: العجز في النطق. الخطل: الفساد في القول. ينعى الشاعر على أبي العباس النامي الذي ذكر للأمير أمجاد تغلب في الجاهلية، بأن ذلك عين الخطل.

لَـيْـتَ الْـمَـدَائِـحَ تَـسْـتَـوْفِـي مَـنَـاقِـبَـهُ
فَـمَـا كُـلَـيْـبٌ وَأَهْـلُ الْأَعْـصُـرِ الْأُوَلِ (١)
خُـذْ مَـا تَـرَاهُ وَدَعْ شَـيْـئـاً سَـمِـعْـتَ بِـهِ
فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ (٢)
وَقَـدْ وَجَـدْتَ مَـجَـالَ الْـقَـوْلِ ذَا سَـعَـةٍ
فَـإِنْ وَجَـدْتَ لِـسَـانـاً قَـائِـلاً فَـقُـلِ (٣)
إِنَّ الْـهُـمَـامَ الَّـذِي فَـخْـرُ الْأَنَـامِ بِـهِ
خَـيْـرُ الـسُّـيُـوفِ بِـكَـفَّـيْ خَـيْـرَةِ الـدُّوَلِ (٤)
تُـمْـسِـي الْأَمَـانِـيُّ صَـرْعَـى دُونَ مَـبْـلَـغِـهِ
فَـمَـا يَـقُـولُ لِـشَـيْءٍ لَـيْـتَ ذَلِـكَ لِـي (٥)

(١) يُفضل الشاعر ممدوحه، لقد كان أهلاً للمدح دون سواه، فكلّ ما قيل من قصائد مدحية لا تفيه حقّه لأنه فوق المدح، والمدح أصلاً يستوحي مكارمه وفضائله، لذا فكليب الجاهلي وسواه من أجداد الشاعر الجاهليين لم يكونوا بمستوى الأمير في كلّ شيء، فأين هم منه ومن إنجازاته؟

(٢) و (٣) ورد البيتان التاليان في: الخصائص، لابن جني: ٢: ١٧١. يُخاطب الشاعر أبا العباس النامي مشككاً بذكائه وبملكته الشعرية، طالباً منه أن يتعامل مع ما يراه من فضائل سيف الدولة وجلائل أعماله، لأنها حيَّة معاشة معلومة من القاصي والداني؛ إنها سرّ عظمة الأمير، إنه شمس أشرقت على الكون دفئاً وكرماً وشجاعة وحسن خلق وجمال وجه به نور معاليه العالية، وعلى الأريب ألّا يُحاول رؤية زحل ذلك النجم البعيد وأمامه شمس قريبة المأخذ والمنال، لذا فالأولى له أن يصف ما يرى ويمدح من يرى، ففي التغني ببطولاته غنًى عن ذكر أجداده، فإن كان الشاعر أريباً فلن يعدم الوسيلة الناجعة.

(٤) الهمام: العالي الهمة. الأنام: البشر. يمدح الشاعر سيف الدولة، إنه ذو همة عالية تهون أمامه المصاعب؛ فكلّ الناس يفخرون به، إنه سيف حامٍ يحمي دولة الخلافة التي تُسلّطه لتبطش بأعدائها في الداخل والخارج.

(٥) الأمانيّ، الواحدة أمنيَّة: ما يرغب المرء في تحقيقه. صرعى: مقتولة. يعني التمني افتقاد المرء لما يرغب فيه، والأمير يُحقّق كلّ شيء فلا يحول شيء دون ما يزيد لقدرته على تحقيق أمنيّته، ولذلك انتفى التمنّي من مصطلحاته التي يُردّدها لبعد همّته وطول يده.

أُنْظُرْ إِذَا ٱجْتَمَعَ السَّيْفَانِ فِي رَهَجٍ
إِلَى اخْتِلَافِهِمَا فِي الْخَلْقِ وَالْعَمَلِ (١)
هٰذَا الْمُعَدُّ لِرَيْبِ الدَّهْرِ مُنْصَلِتاً
أَعَدَّ هٰذَا لِرَأْسِ الْفَارِسِ الْبَطَلِ (٢)
فَالْعُرْبُ مِنْهُ مَعَ الْكُدْرِيِّ طَائِرَةٌ
وَالرُّومُ طَائِرَةٌ مِنْهُ مَعَ الْحَجَلِ (٣)
وَمَا الْفِرَارُ إِلَى الْأَجْبَالِ مِنْ أَسَدٍ
تَمْشِي النَّعَامُ بِهِ فِي مَعْقِلِ الْوَعِلِ (٤)
جَازَ الدُّرُوبَ إِلَى مَا خَلْفَ خَرْشَنَةٍ
وَزَالَ عَنْهَا وَذَاكَ الرَّوْعُ لَمْ يَزُلِ (٥)

(١) و (٢) يقصد الشاعر بالسيفين، سيف الدولة الإنسان من لحم ودم، والسيف الحديدي الجامد الذي لا يُحسّ وتنعدم فيه الإرادة. الرهج: الغبار. ريب الدهر: مصائبه ونوائبه. منصلتاً: مجرّداً إنه لقاء بين ركني البطولة، فإذا كانت الحرب وتعالت الأغبرة في المعركة كان لسيف الدولة القيادة والتصميم والإرادة والقوة التي بواسطتها يعمل السيف الحديدي، فلا قيمة للسيف إن لم يستعمله بطل يضرب المصائب والويلات فيقصم ظهرها في الأزمات فيقضي على المحن في مهدها دون تردّد.

(٣) الكدري: ضرب من طيور القطا، والقطا ضرب من الحمام رمادي الريش. يستوطن الصحاري. الحجل: ضرب من الطيور يستوطن الجبال. يمدح الشاعر ممدوحه بأنه مثار رعب أعدائه؛ فالأعراب البدو يُوغلون في الصحاري والفلوات شأن القطا، والروم يختفون خوفاً منه في الجبال الوعرة يحتمون بها شأن الحجال.

(٤) و (٥) الوعل: تيس الجبل. الدروب، الواحد درب: الطرق الضيقة الوعرة. خرشنة: من بلاد الروم. الروع: الخوف، يروى «من ملك» بدلاً من «من أسد». يصف الشاعر قدرة سيف الدولة وجيشه على ملاحقة الروم في جبالهم، يتلفّت القوم وراءهم وقلوبهم مليئة رعباً ويكاد الفزع يقضي عليهم فتقع أعينهم على أسد يُلاحقهم بجيشه وقد امتطى جنده جياداً عربية كأنها نعام يكاد يطير لسرعته، إلى أين الفرار، ويُتابع الأمير المطاردة لقد وصل خرشنة مخترقاً دروباً وعرة ضيقة تحيط بها الجبال من كل مكان، ورغم عودة الأمير إلى عاصمة ملكه فلا يزال الروم يأكل أكبادهم الرعب الشديد من معاودة الأمير الكرّة عليهم.

فَكُلَّمَا حَلَمَتْ عَذْرَاءُ عِنَدَهُمُ
فَإِنَّمَا حَلَمَتْ بِالسَّبْيِ وَالْجَمَلِ (١)
إِنْ كُنْتَ تَرْضَى بِأَنْ يُعْطُوا الْجِزَى بَذَلُوا
مِنْهَا رِضَاكَ وَمَنْ لِلْعُورِ بِالْحَوَلِ (٢)
نَادَيْتُ مَجْدَكَ فِي شِعْرِي وَقَدْ صَدَرَا
يَا غَيْرَ مُنْتَحَلٍ فِي غَيْرِ مُنْتَحَلِ (٣)
بِالشَّرْقِ وَالغَرْبِ أَقْوَامٌ نُحِبُّهُمُ
فَطَالِعَاهُمْ وَكُونَا أَبْلَغَ الرُّسُلِ (٤)
وَعَرِّفَاهُمْ بِأَنِّي فِي مَكَارِمِهِ
أُقَلِّبُ الطَّرفَ بَيْنَ الْخَيْلِ وَالْخَوَلِ (٥)

(١) من الطبيعي أن يحلم المرء بما يُحبّ فيُحسّ بالراحة النفسية، ولكن الأمر خلاف ذلك عند نساء الروم، العذارى منهم والنساء، فالواحدة تحلم بأن عربياً يحرمها حرّيتها وقد عجز عن حمايتها رومي، ففقد حميّته وكرامته، فإذا به يتخلّى عنها مؤثراً نفسه، لذا يفرّ تاركاً من وقعت في الأسر لمصيرها المحتوم، والجمل حينئذٍ رفيق جديد قد يكون فيه بقيَّة من كرامة افتقدتها في بني قومها.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧١. الجزى، الواحدة جزية: مال يدفعه الذميّ لقاء حمايته. يُخاطب الشاعر الأمير منوّهاً بقدرته على اتّخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب؛ فبإمكانه أن يحصل منهم على الجزية، إنها سبيل لغنى المسلمين ومحافظة الروم على أرواحهم، ويمثل الشاعر ذلك بمثال يُوافق أماني الروم، فالحول أفضل من العور بالنسبة للإنسان، وهكذا يتقبّل القوم الجزية رغماً عنهم ورغم كراهتهم لها.

(٣) و (٤) المنتحل: المدعي بما لا يمتّ إلى الحقيقة بصلة، يُنوّه الشاعر بتلازم وترابط شخصيته كشاعر بشخصية سيف الدولة كوجود حيّ يجسّد مثلاً حيَّة، إنه يترجم ما يجده في ممدوحه شعراً لا ادّعاء فيه لصدق مقالته حيث لا انتحال لحقائق غير موجودة فيه، إنها حقائق تناقلها أهل المشرق والمغرب بإعجاب وحبّ لكلا طرفيها، الشاعر برسمها كواقع، وسيف الدولة كشاعر جسدها في شخصه.

(٥) الخول: الخدم. يعترف الشاعر بفضائل الأمير عليه، ويُعلن الأمر صراحة، إنه يعيش في نعيم وطمأنينة، وقد غمره بنعمه وتقريبه منه فكان شاعره دون منازع، فحيثما قلّب =

يَا أَيُّهَا الْمُحْسِنُ الْمَشْكُورُ مِنْ جِهَتِي،
وَالشُّكْرُ مِنْ قِبَلِ الإِحْسَانِ لَا قِبَلِي (١)
مَا كَانَ نَوْمِيَ إِلَّا فَوْقَ مَعْرِفَتِي
بِأَنَّ رَأْيَكَ لَا يُؤْتَى مِنَ الزَّلَلِ (٢)
أَقِلْ أَنِلْ أَقْطِعِ ٱحْمِلْ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ
زِدْ هَشَّ بَشَّ تَفَضَّلْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ (٣)
لَعَلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ؛
فَرُبَّمَا صَحَّتِ الأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ (٤)

= نظره شاهد خيلاً مسوّمة وخدم بيته يُحسنون صنعاً في كلّ ما يُريد ويأتمرون بأمره.

(١) يُخاطب الشاعر ممدوحه رادًّا على أفضاله، فالممدوح محسن كريم فوجب له الشكر، فإحسانه هو الذي أدى إليه الشكر لا الشاعر، لأن الإحسان شكر بحدّ ذاته للمحسن، وكأن الشاعر يتبرّأ من ذلك فلا منّة له عليه.

(٢) الزلل: الخطأ. ثمَّة سبب جعل الأمير ينكمش عن الشاعر حتى بادره بأنه يركن إلى حسن علمه وثاقب رأيه، حمله على النوم والطمأنينة؛ إنه على علم يقيني بأن الأمير لا يتسرّع بأخذ قرارات ليست صائبة، ولعلمه بحصافته وحسن تصرّفه فلا يُخطئ.

(٣) أقل: أعن وخذ بيد الشاعر حتى يخرج من عثرته. أنل: اعط. أقطع: اجعل إقطاع أرض لي. احمل: اجعل ركوبة لي. علّ: ارفع من مكانتي عندك. سلّ: سرّ عليّ. أعد: أرجع لي ثقتي بحسن رأيك في. هشّ: ابتسم دلالة الرضى عني. تفضل: أنعم وتكرّم. أدنِ: قرّب. سُرّ: أدخل السرور على قلبي. صلْ: تكرّم عليّ بصلاتك. تتوالى أفعال الأمر حاملة معها الرجاء والتمني، فكانت الإجابة من قبل الأمير بالإيجاب.

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧١. التقصير حالة من حالات الضعف، وقد يكون التقصير غير متعمّد، فحتى في هذه الحالة فالاعتذار يحمل على الغفران. يخاطب الشاعر الأمير آملاً أن يكون عتبه عليه باباً لعودته عمَّا بدر منه من تقصير بحقّ الأمير، وأن تكون عقباه عقبى خير عليه، فلا يرجع إلى ما سلف من تقصير من ناحيته، فربما تكون هذه الحالة المرضية دواءً شافياً ناجعاً من أمراض أخرى أشدّ ضرراً منها.

وَمَا سَمِعْتُ، وَلَا غَيْرِي بِمُقْتَدِرٍ
أَذَبَّ مِنْكَ لِزُورِ الْقَوْلِ عَنْ رَجُلِ (١)
لأَنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لَا تَكَلُّفُهُ
لَيْسَ التَّكَحُّلُ في الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحَلِ (٢)
وَمَا ثَنَاكَ كَلَامُ النَّاسِ عَنْ كَرَمٍ
وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ الْعَارِضِ الهَطِلِ (٣)
أَنْتَ الْجَوَادُ بِلَا مَنٍّ وَلَا كَدَرٍ
وَلَا مِطَالٍ وَلَا وَعْدٍ وَلَا مَذَلِ (٤)
أَنْتَ الشُّجَاعُ إِذَا مَا لَمْ يَطَأْ فَرَسٌ
غَيْرَ السَّنَوَّرِ وَالأَشْلَاءِ وَالْقُلَلِ (٥)

(١) أذبّ: أكثر دفاعاً. يُردف الشاعر أنه لم يسمع وكذلك أناس آخرون غيره أنك لست قادراً على ردع وإكبات قائل الزور، وأنت أعظم الناس وأولاهم بأن تفعل ذلك.

(٢) الكحل: سواد في أجفان العين خلقة، والتكحل تصنّع ذلك. يحاول الشاعر تهدئة الأمير وتطييب خاطره، مستثيراً فيه ملكة الحلم، إنه حليم طبعاً متأصّلاً فيه، وهو لا يتكلّفه، فلا يُصغي لواش وحاسد، فهؤلاء ألسنة سوء يعملون على إفساد العلائق بين المتحابّين والأصدقاء. ثم يأتي الشاعر بمثل أن ثمّة من جُبل متكحّل العينين وبين من يصطنع ذلك.

(٣) ورد البيت في: دلائل الإعجاز، للجرجاني: ٣٨٨. ثناك: أرجعك. العارض: السحاب. الهطل: الغزير المطر. يُثير الشاعر في ممدوحه إحساس كرم الأخلاق لديه، فوشايات الناس وكذبهم لن يُثنيه عن طبعه الكريم، فذلك مستحيل، تماماً كمن يمنع سحباً تحمل أمطاراً غزيرة من الهطول.

(٤) الجواد: الكريم. المنّ: تذكير وترديد المعطي ما أعطاه لسواه. المطال: التسويف. المذل: التبرّم والتأفّف. يمدح الشاعر الأمير بأنه كريم معطاء، ومن صفاته أنه لا يُذكّر بنعمه على مستحقيها، كما أنه يُسارع دون إبطاء أو مماطلة إلى إيفاء ما يتوجّب عليه نحو أوليائه دون تردّد أو تأخير، ولذا فإنه لا يعد بل يُسارع إلى إسعاف المحتاج دون تبرّم أو تأفّف.

(٥) السنوّر: ضرب من الدروع الجلدية. الأشلاء، الواحد شلو: الأعضاء. القلل، الواحدة قلّة: أعلى الرأس. يُخاطب الشاعر الأمير منوّهاً بشجاعته التي تتّضح معالمها =

وَرَدَّ بَـعْـضُ الْـقَـنَـا بَـعْـضـاً مُـقَـارَعَـةً
كَـأَنَّـهـا مِـنْ نُـفُـوسِ الْـقَـوْمِ فـي جَـدَلِ[١]
لَا زِلْـتَ تَـضْـرِبُ مَـنْ عَـادَاكَ عَـنْ عُـرُضٍ
بِـعَـاجِـلِ الـنَّـصْـرِ فـي مُـسْـتَـأْخِـرِ الأجَـلِ[٢]

سألت اللّه فيك

وقال وقد سئل بيتاً يتضمن أكثر ما يمكن من الحروف:

[الطويل]

عِشِ ابْقَ اسْمُ سُدْ قُدْ جُدْ مُرِ انْهَ رِفِ اسْرِ نَلْ
غِظِ ارْمِ صِبِ احْمِ اغْزُ اسْبِ رُعْ زَعْ دِلِ اثْنِ نَلْ[٣]

= في نهاية المعركة ويخرج منها منتصراً، فالأشلاء تغطي الأرض، وجثث القتلى تزرع الميدان، والرؤوس حيثما التفت الأمير، ولا بدّ له من أن يخرج من الساحة وهو يمتطي فرسه، فإذا به يدوس ويعثر بما يُصادفه منها فيطأها بحوافره.

(١) مقارعة: مضاربة. الجدل: شدّة الخصومة. يُردف الشاعر مشيداً بتلك الشجاعة، حيث يتبادل الأبطال الكفاح الرهيب، ويسقط منهم من يسقط وكأنهم في جدال عقيم لا يُودي بأصحابه إلّا إلى الموت، فالكلّ يبذل ما لديه من حجج تكشف عن مدى بطولته وشجاعته وقوّته.

(٢) عن عرض: كيفما حصل. يدعو الشاعر لممدوحه بدوام النصر على أعدائه فيُنزل بهم الهزائم كيفما قدر على ذلك، وبأسرع ما يُمكن كما أنه يتمنّى له دوام العمر سالماً معافًى.

(٣) عش: يتمنَّى الشاعر للأمير العيش الرغيد. ابق: يتمنّى له البقاء والحياة والديمومة. سد: يتمنّى له السيادة الدائمة. قد: يطلب منه الاستمرار في قيادة الجيوش. جد: تكرّم. مر: الأمر والنهي في من يحكم وبما يحكم. انه: النهي من صفات الحاكم القادر. رِ من الورى: يطلب الشاعر من الأمير أن يكيد أعداءه في أجوافهم وقلوبهم. فِ: من الوفاء أي فِ لأوليائك بالإحسان إليهم. اسر: امشِ إلى أعدائك ليلاً. نل: احصل على ما تريد وتحبّ من ملاذ الدنيا وأمجادها. غظ: أنزل في حسادك وأعدائك ما تُؤلمهم به. ارم: أنزل بمن يكرهك كيدك. صب: وجّه سهام غضبك إلى أعدائك في مقاتلهم. احم: صن إمارتك من الطامعين والحاقدين والأعداء. اغز: أدم الغزو في نحور أعدائك. اسب: أأسر أعداءك. رع: أخف أعداءك. زع: =